

سيمياء العتبات النصية مقاربة سيميائية لعتبة الغلاف والعنوان في روايتي "تماسخت دم النسيان" و"زهوة" للحبيب السائح – عينة –

د. بكري أحمد شكيب¹

مقدمة:

إن عتبة النص هي أول ما يواجه القارئ، فهي تريد منه أن يعبرها الاهتمام البالغ، علاوة على ذلك تقدم له مقابل هذا الاهتمام المركز، الإغراء، فهي تنصب له شركا نصيا تضمن أن يتفاعل القارئ معها، وتضمن أن تسيطر عليه، بما تمنحه من فرص بث الرسالة.

إن عتبة الغلاف من أهم عناصر عتبات النص أو النص الموازي فهو: "أول ما يواجه القارئ قبل عملية القراءة والتلذذ بالنص، لأن الغلاف هو الذي يحيط بالنص الروائي، ويغلفه ويحميه، ويوضح أطره الدلالية من خلال عنوان خارجي مركزي أو عبر عناوين فرعية تترجم لنا أطروحة الرواية أو مقصديتها أو تيمتها الدلالية العامة، وغالبا ما نجد على الغلاف الخارجي اسم الروائي، وعنوان روايته، وجنس الإبداع، وحيثيات الطبع والنشر علاوة على اللوحات التشكيلية، وكلمات الناشر أو المبدع أو الناقد تركي العمل وتضمنه إيجابا وتقويما وترويجا"⁽²⁾.

فعتبة الغلاف مهمة، فهي تساعدنا على فهم النص الأدبي الروائي من حيث مستوى الدلالة والبناء والتشكيل والمقصدية.

ومن هذا المرتكز المقدماتي، سنعمل في تحليلنا لعتبات النص لروايتي "تماسخت دم النسيان، وزهوة"، على دراسة سيمياء الصورة واللون والعنوان فيهما.

¹ أستاذ محاضر قسم اللغة العربية وآدابها جامعة د. مولاي الطاهر – سعيدة –
² جميل حمداني، "السيميوطيقا والعنونة"، مجلة عالم الفكر، مجلد 25، ع3، 03، 1997، ص: 107.

تحديد مصطلحات ومفاهيم البحث:

العتبات النصية: يعتبر جيرار جينيت من المنظرين الأوائل الذين فكوا شفرات خطاب عتبات النص، وذلك في كتابه عتبات⁽¹⁾ أو (Séuils)⁽²⁾، فلقد بحث في كثير من أشكال العتبات: بيانات النشر، العناوين، الإهداءات، التوقيعات، الملاحظات، و غلاف الكتاب.

العنوان: يعد العنوان من بين أهم عناصر عتبات النص أو النص الموازي (المناس)⁽³⁾، ولقد أولت الدراسات النقدية المعاصرة ولا سيما السيميائية أهمية بالغة في دراسة العنوان باعتباره نصاً قائماً بذاته أو نصاً كبيراً. يعرف "جون كوهين" العنوان أنه: "مظهر من مظاهر الإسناد والوصل والربط المنطقي، فالعنوان هو الموضوع الكلي، بينما النص الكبير هو جزء من العنوان، الذي هو بمثابة فكرة عامة أو محورية، أو بمثابة نص كلي"⁽⁴⁾. إن كوهين في هذا التعريف يرى أن العنوان هو الموضوع العام الكلي أو هو النص الكلي بينما الخطاب النصي هو جزء من العنوان الذي هو خطاب كلي ومحوري. والعنوان عند رولان بارت هو عبارة عن علامة⁽⁵⁾ أو مجموعة أنظمة علامائية أو دلالية تتضوي على قيم ثقافية (أخلاقية واجتماعية).

اللون: هو توليفة بين الأشكال والأشعة الضوئية الساقطة عليها فتؤلف المظهر الخارجي لهذه الإشكال والألوان في اللوحة بانسجامها وترابطها تحقق الوحدة الجمالية فهي كالأنغام الموسيقية وتمثل الاتزان والتمائل والايقاع.⁶

وهو تفسير لحالات جسدية ونفسية مرتبطة بحالات النفس وأطوارها العميقة، من حب وكراهية وارتياح وطمأنينة وغيرها، فلذا

¹ ينظر: عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، إفريقيا الشرق (المغرب + بيروت)، دط، 2000، ص: 23.

² G.Genette, <<Seuils>>, ED, seuil, paris.

³ عبد الحق بلعابد، "عتبات" (جيرار جينيت من النص إلى المناس)، تقديم: سعيد يقطين، منشورات الاختلاق، الجزائر + الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، ط1، 2008، ص: 110.

⁴ ينظر جميل حمداوي، المرجع السابق، ص: 98، 97.

⁵ ينظر، عبد الفتاح الحمري، عتبات النص (البنية الدلالية)، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص: 18.

⁶ ينظر، عبيدقصبطي، نجيب بخوش، الدلالة والمعنى في الصورة، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2009، ص

كان للون رمزية ودلالة تلازمه في غالب الأحيان، ولهذا ترجع أهمية اللون في الرسالة البصرية إلى أنه يساهم مساهمة فعالة في إيلاغ الرسالة في كل خطواتها من حيث الإدراك وجذب الانتباه وخلق جو وجداني وانفعال ملائم عند المستقبل.¹

الصورة: يعطى المعجم الوسيط للصورة المفهوم الآتي²، جعل له صورة مجسمة، يقول تعالى: "هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم"³. وصور الشيء أو الشخص، رسمه على الورق أو الحائط ونحوها بالقلم أو بآلة التصوير.⁴

والصورة: الشكل والتمثال المجسم، قال تعالى: "الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك"⁵.

نستنتج من خلال هذه التعاريف أن مفهوم الصورة تدرج من الساذج، حيث كانت الصورة ترسم الأشياء أو الأشخاص على لوح أو حائط، إلى التطور، حيث أضحت الصورة ترسم الأشياء والأشخاص بآلة التصوير. تأطير منهجي للبحث:

يجب أن نوضح أن المنهج الذي سنسخره في التحليل، هو المنهج السيميائي للصورة، الذي يتحرى عن دلالتها الحقيقية و/أو القاموسية (Dénnotations) والدلالة المجازية و/أو السيميائية (Connotations).

إن هذا المنهج في حقيقة الأمر مستنبط من السيميولوجي والبنوي الفرنسي رولان بارث، الذي قرأ الصورة من منظورين دلاليين، الأول سماه بالدلالة الحقيقية (المباشرة أو القاموسية) Dénotation والدلالة المجازية (المعنى الإيحائي أو السيميائي أو عالم

¹ ينظر، عبدة صبطي، نجيب بخوش، المرجع السابق، ص32، نقلا عن: فايزة يخلف، دور الصورة في التوظيف الدلالي للرسالة الإعلامية (دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من إعلانات مجلة الثورة الأفريقية)، ماجستير، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 1996، ص 83.

² إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات: " المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، ج1، ط2، 1972، ص 582.

³ سورة آل عمران، الآية 6.

⁴ ينظر، قنور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة (مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم)، تقديم: طاهر عبد المسلم، تبلي لونسيان، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د.ط، 2005، ص207.

⁵ سورة الانفطار، الآية 608

الرموز) Connotation، فالدلالة الحقيقية هي المعنى الأصلي للكلمة والمصنفة قاموسياً، أما الدلالة المجازية، فهي مفهوم من المفاهيم الثانوية لنفس الكلمة ويعبر عنها بطرق بلاغية كالكنائية والاستعارة والتورية، وتكون الكلمة أحادية المفهوم Monosémic عندما تعبر عن شيء واحد وواقع، ومتعدد المفهوم Polysémic (تعدد المعاني) عندما تعبر عن عدة أشياء¹.

فالدلالة الحقيقية للصورة، هي تعبير عن الصورة المجسدة المرسومة على لوحة أو على غلاف أو في كتاب أو في مجلة أو في جريدة، والدلالة المجازية للصورة، هي تعدد معاني الصورة عندما نجري عليها عملية التأويل والتي تحتوي على معانٍ تترى.

1. سيمياء عتبة نص رواية: "تماسخت دم النسيان"²

القراءة القاموسية المباشرة لغلاف رواية "تماسخت دم النسيان" يقع في أعلى الغلاف العائم باللون الأحمر وفوق اللوحة الزيتية الموجودة في غلاف الكتاب عنوان الرواية الرئيسية مكتوب بخط كبير وباللون الأصفر: "تماسخت" ثم يلي هذا العنوان الرئيسي عنوان ثانوي مكتوب بخط أصغر منه باللون الأبيض "دم النسيان"، ويوجد في وسط الغلاف في اليسار صورة مؤطرة بإطار أبيض، توجد فيها لوحة زيتية منقوصة أو مبتورة من كل جوانبها الأربع، نرى فيها رجلاً جالساً في منطقة عالية وعلى ملامحه كآبة وبجانبه الآخر من الخلف ظل أو شبح إنسان، وفي أسفل الصورة امرأة جالسة نصف عارية تظهر أحد نهديها متكئة بذراعها على رجل جالس وصدره عار ويبدو على ملامح المرأة والرجل الحزن والكآبة، وفي النصف الأيمن من الصورة للغلاف، اسم الكاتب "الحبيب السائح" مكتوب باللون الأسود، وتحت الصورة الزيتية، مكتوب جنس العمل الأدبي، "رواية"

¹ ينظر، قدور عبد الله ثاني، المرجع السابق، ص 38، نقلاً عن: Roland Barthes ; L'obvie et L'obtus ; Essais critiques III ; Ed ; Seuil ; 1982
² الحبيب السائح: "تماسخت" (دم النسيان) دار الفصبة للنشر، الجزائر، د.ط، 2002.

القراءة السيميائية لغلاف رواية: "تماسخت دم النسيان":

هذا كل ما تقوله القراءة المباشرة للغلاف وسنعمل على قراءة الغلاف قراءة أخرى غير مباشرة، ففي الأعلى عنوان الرواية الرئيس: "تماسخت"، لماذا كتب بخط كبير وباللون الأصفر، والعنوان الثانوي "دم النسيان" مكتوب بخط أصغر وباللون الأبيض، أرى أنه لا يمكن أن نجيب عن هذا السؤال إلا إذا طرحنا سؤالاً آخر يمهّد لنا الإجابة، لماذا لم يُكتب اسم المؤلف في الأعلى؟ أي أعلى العنوان، كما جرت العادة وجاء اسمه مكتوباً في الجهة اليمنى في الغلاف وباللون الأسود؟

من خلال هذا السؤال يمكننا مباشرة الإجابة بما نمتلك من رصيد معرفي عن الراوي وعن العنوان، فالعنوان: "تماسخت" هو اسم لقريبة نائية في مدينة أدرار، لذلك جاء لون العنوان الرئيسي: "تماسخت" مطابقاً للون الأصفر المعبر عن لون رمال أدرار، أما الغرابة كل الغرابة ما نجده في العنوان الفرعي للرواية وهو "دم النسيان" أتى أبيض اللون، ومعلوم أن الحمولات الدلالية اللغوية لهذا العنوان لا تبشر بخير فمتى كان "الدم" ذي اللون الأحمر مريح للأعصاب والقلوب والنفوس، فهو لا يتكلم إلا على الأسى والدمار والموت وعن كل شرٍّ، لماذا جاء هذا المدلول اللغوي "الدم" المخيف في معناه الكريه لونه، في لون أبيض رفيع الخط، ألا يوحي اللون الأبيض، إلا لما هو: سلم وسلامو أمان وحياء. يحتل هذا السؤال إجابة تأويلية مشبعة بعلاقة الكاتب بمنطقة أدرار عموماً وتماسخت خصوصاً، إذ نؤوّل حجم العنوان الفرعي الرفيع "دم النسيان" محاولة الكاتب الهروب ونسيان حمامات الدم المسفوكة في سنوات الجمر والدمفي العشرية السوداء والحمراء، فضالة العنوان الفرعي في حجمه، التابع للعنوان الرئيس المرسوم بخط كبير، هو إرادة الكاتب نسيان أخبار الهلاك والأحزان، والهروب إلى مكان رحيمو التيهان والذوبان في فضاء بريء، والبحث عن السلام الداخلي في صحراء أدرار المسكونة بالهدوء والسلام، فارتباطه بتماسخت الأدرارية هو هروب من فواجع الأسى ونسيانٌ لجراحات الألم وفواح الدم، ونقرأ كتابة العنوان

الفرعي باللون الأبيض، على أنه البحث الحثيث للكاتب عن "السلام" الداخلي والمكاني في مدينة تماسخت الأدرارية، العامرة بالهدوء الصوفي. فلقد أفرغ الكاتب محتوى العنوان الفرعي من دلالاته المأساوية إلى دلالات أريحية المعنى، محاولاً أن يصنع لنفسه فضاء هادئاً يسكن جناته وفردوساً يخلد في رياضها، لنسيان أفضية القترة والمهلكات، وهذه القراءة تحيلنا إلى قراءة أخرى مفادها، أن عدم اكتمال الصورة الزيتية من جوانبها الأربع مما بتر بعض الأعضاء الجسمية لشخص الصورة والتي يبدو على ملامحها الحزن والكآبة، هو محاولة الكاتب بتر ذاكرة نكدة عاشها، والتصق بكوابيسها وربما دفع ضريبتها، شأنها شأن ظل ذاك الشبح غير مبين الوجه في الصورة، الواثب خلف الشخص المذهولة، فهذا الشبح الذي لا يبعث حضوره على الاستئناس، هو كابوس الفجيرة والعذابات للمؤلف الذي يطارده في مخياله وحياته ويكبس أنفاس هو يشل حركته ويقض مضجعه، والكاتب رغم ذلك يحاول أن ينسى هذه الذاكرة الآثمة، والارتقاء في فضاء الصوفية والسلام، المختزلة في تماسخت التي أوتته واحتضنته.

وأما تموضع اسم الكاتب في النصف الأيمن من الغلاف بالخط الأسود، المشهور لونه بسيميائيته الدالة على كل انقباض وخوف ورعب، هذه الرمزية ليست بعيدة عن معاناة الكاتب في سنين الجمر، إذ كان الكاتب مهدداً في حياته وكانت الجزائر مهددة بنسف كيائها، فهذا الخطر المتربص بالكاتب وبمستقبل الجزائر، انطبع على نفسية "الحبيب السائح"، الذي عكسها في روايته هذه، ولعل انعكاس هذه المأساة يتضح بجلاء في اللوحة الزيتية على الغلاف، إذ نلمح فيها صورة قاتمة قليلة الضوء، فيها شخصيات يبدو على ملامحهم الذبول والشحوب والضنك، فهذه الصورة هي مرآة عاكسة وتجسيد لنفسية الكاتب القترة

سيمياء العنوان في رواية "تماسخت" (دم النسيان):

جاء عنوان هذه الرواية مقسما إلى قسمين، العنوان الرئيس جاء بصيغة مفردة¹ تدل على الفضاء المكاني: "تماسخت"، وهي كما قلنا أنفا قرية بولاية أدرار، بينما العنوان الثاني، جاء فرعيا ومركباً، "دم النسيان"، الدالة على الإنسان، باعتبار أنّ الدم يكون للكائن الحي بشر كان أو حيوان، فهي تمثل الكينونة، وهذا الأمر مرتبط بالدم الإنساني لأنه موصول ب: "النسيان" فالنسيان مرتبط بالإنسان وهو خلاف التذكر، والنسيان والتذكر هما من يخلقاً للإنسان كيانه ووجودا. فصيغتنا عنوان هذه الرواية تنهضان على دالين مهمين وهما:

الفضاء المكاني (تماسخت) والإنسان (دم النسيان)²، ولكن هذه الذاكرة تبدو ملطخة بذاكرة أليمة دموية مأساوية عاشها الكاتب وعاشتها الجزائر، وتتعلق وتتقاطع مع بعضها البعض. فالمكان العام الذي ضرب الحزن أطنابه، هي الجزائر وما عاشته من نكبة المحنة، ومكان خاص كان أشد وطأة وأشد تنكيلا على الكاتب، هي مدينة سعيدة مدينة الصبا والفتوة، ففي فتنة الجزائر تعرّض الكاتب إلى التهديد من طرف الجماعات المسلحة بالتصفية الجسدية، ففرّ من سعيدة خائفاً وجلاً مرتقباً إلى مدينة أدرار حيث وجد عالماً آخر وجوا مغايراً، ففي الوقت الذي كانت مدينة سعيدة تعيش اضطراباً وهرجاً ومرجاً وجد الكاتب في "تماسخت"، السلام والسكينة، كأنه عالم مثالي جميل وُجد من أجل الكاتب لاستقباله وخلق لمواساته، فكان بمثابة مكانه المأمول الأهل بالقدسية التي أسكب فيها همه وأذاب فيها نفسه، فأنسته "تماسخت" بفسيح صحرائها الهادئة همّه وغمّه وخوفه، فعاش فيها مستمعاً لصوت الهدوء ومرتبلاً في معبدها آيات وأسفار السلام.

يصوّر هذا العنوان علاقة الإنسان بالمكان، فالكاتب كان مرتبطاً بمدينة سعيدة التي احتضنته صغيراً وشب فيها وكبر، فحفر في شوارعها وأزقتها وأريافها ذكريات جميلة ولكن ما لبثت هذه الذكريات

¹ ينظر، بن جمعة بوشوشة، جماليات الخطاب السردي في رواية "تماسخت دم النسيان"، مجلة التبيين الجمعية الثقافية الجاحظية، مطبعة الجاحظية، ع26، 2006، ص 29.

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أن تنقلب كابوساً رهيباً، ففي هرج الجزائر ومرجها، تحولت سعيدة من موطن للذكريات الجميلة إلى كابوس الموت المحتم ومذبح هو كوب دمه المسفوح، فانقلب الحب إلى كره والذكرى إلى حلم مزعج، وأمسى في كل شارع أو زقاق في سعيدة شبح مترصد ومتربص بالكاتب الدوائر، ذلك المكان الجميل الذي حفظ للكاتب أروع وأغبط الذكريات انقلب إلى فضاء يبيت في روعه الجزع ويخوفه بالفناء، ليجعله نسيا منسياً، فخلق هذا الأمر اضطراباً نفسياً للكاتب، اضطرتته على نسيان بكل ما يربطه بمدينته التي تكررت له، فطفق يبحث عن مكان مرتجى مأمول، فوجد في مدينة أدرار ما يهون عليه هموم الليل الطويل، وفي دفيء صحراء "تماسخت" انبعث الكاتب من رماد الدم والنسيان.

4.1. تشاكل العتبات النصية في رواية: "تماسخت" (دم النسيان)

عند تحليلنا لمدلولات غلاف وعنوان الرواية، يمكننا أن نستنبط كمّاً من العلاقات المتماثلة بينهما، ويتضح هذا الترابط العلائقي في كثير من صعيد، فالاستراتيجية العامة لغلاف الرواية هي المأساة، التي ترجمت لسان حالها بلون الدم، المعبر عن الشر المستطير، وزاد هذا الرمز العبوس القمطير، اللون الأسود الذي خُطّ به اسم الكاتب في الغلاف، النابض بكل فجيرة.

وزادت الصورة الفنية ذات اللون القاتم المعتم القابعة في وسط الغلاف فداحة في المشهد وكآبة في المنظر، هذه المرموزات التي جثمت على غلاف الرواية، صوّرت الحزن الذي عمّ عرشه في ذكريات الكاتب واستيلاء الخوف كيانه، جراء البؤس الذي احتل كل مكان في الجزائر في أيامها النحسات، ولكن وثنايا هذه الصورة السودوية، انقشع بصيص الأمل وفجوة النور، من مكان بعيد يعمّ أرجاءه الدفء والروح والرياحين هذا المكان هي "تماسخت" الأدرارية، التي تماثلت مع مرموز اللون الأصفر للعنوان ذي الحجم الكبير في رسمه، الذي يحيل على شساعة الصحراء ودفيء رمالها الذهبية.

وأما تفسيرنا تقازم حجم العنوان الفرعي المصطبغ بالأبيض (دم النسيان) موازنة مع العنوان الرئيس (تماسخت)، هي إرادة الكاتب

نسيان أشباح الماضي وتسليط الضوء على طيور الظلام، ونعزُّ تقلصَ العنوان الفرعي - الذي لا يعرف قاموسه إلا مدلولات الأسي والشر - بالموازاة مع العنوان الرئيسي هي مثابة المؤلف، تقزيم كابوس المرارة وتحقير برائن الدم.

إن هذه الإرادة التواقة للحياة، استحكمت دلالتها على العنوان الفرعي (دم النسيان)، مأساوي السمة، وأفرغته من محتواه وسكبت فيه سمة أخرى تباينه، وذلك بكتابة العنوان الفرعي "السودوي" باللون الأبيض الباعث على الحياة والسلام، فهي تكرر إرادة الكاتب بدفن الألم في ثنايا الأمل ودفن ذاكرة الدم والنسيان في نفحات الحياة.

2. سيمياء عتبة النص لرواية: "زهوة"

1.2. القراءة القاموسية المباشرة لغلاف رواية: "زهوة".

إن اللون السائد في غلاف الكتاب هو اللون الأبيض، ويقع في أعلى غلاف الكتاب اسم الكاتب (الحبيب السائح) بحجم كبير نسبيا وأسود، وتحت مباشرة عنوان الرواية جاء بحجم كبير وبلون بني: "زهوة"، وفي وسط الغلاف تحت العنوان، صورة تشبه الزهرة تحيط بها أزهار صغيرة زاهية بها ألوان كثيرة: (الأخضر، الأزرق والبني)، وبجانب الزهرة ذكر "للجنس الأدبي" رواية "ملونة بالأسود، وتحت الشكل الزهر يأشكال مؤنسة تحيط في نصف دائرة بالزهرة وملونة بألوان مختلفة وهي: (الأزرق، الأخضر والبني)، وهذه الشخص رُسمت في حالة رقص تحمل أزهارا مختلفة الألوان وهي: (الأخضر والبني).

2.2. القراءة السيميائية لغلاف رواية: "زهوة"

يجب أن ننبه أننا سنبدأ بتحليل نقيّات غلاف رواية: "زهوة"، بقراءة سيمياء غلاف الرواية، رأسا نزولا إلى الأسفل، مبتدئين من حيث انتهينا في الرواية السالفة: "تماسخت" التي أفصحت عن مدلولها المأساوي.

إن أول ما يشدُّ أبصارنا ويثير انتباهنا عند مشاهدتنا لغلاف رواية: "زهوة"، هو اسم الكاتب "الحبيب السائح"، المكتوب بحجم كبير

أسود، الذي يرمز إلى الفجيرة، وهذه البداية الكئيبة جاءت لتكرس نفسها وتثبت جدارتها، وما يلبث هذا الشؤم فرض نفسه، حتى يتلاشى في فناء غلاف الرواية الذي اكتنفه البياض من كل جوانبه وأحاطه إحاطة شاملة، ولا داع لإعادة بسط سيمياء اللون الأبيض. ويؤازر سيمياء لون الغلاف، العنوان ذو الحجم الكبير والبنّي اللون، ليعلن أنه ثمة تغيير جذري في الدلالات، وهذا الإعلان أفصح عنه الغلاف الأبيض للرواية الذي خلق فصلة وجدارا عازلا بين مدلولي الحزن والفرحة، ومؤشرا لبداية عهد رمز جديد، وهو رمز الفرحة والأنس والغبطة، وإعلان عن نهاية أمس كئيب.

ويعزّز هذه البشري الموعودة، صورة "الزهرة" المتفجرة بالألوان الزاهية، المفصحة عن بهجة الكاتب، بحلول الأمل مكان الألم وتبشير الخير مكان نذير الشؤم، وإن ما يؤكد تحليلنا لسيمياء صورة الزهرة أكثر، هو شكل الزهرة المتفتحة المتفجرة بالألوان الزاهية، التي تشبه انفجار الكون الأعظم الذي هزّ أركان العدم وأثار ظلمة الكون الموحشة، الذي انبثقت من بعده الحياة في كل ربوعه الفسيحة، وكذلك من أحشاء مأساة الجزائريو ظلمتها القاتمة القاتلة أينع الأمل ونبضت الحياة، ونحن نميل كل الميل إلى هذا التأويل أن الشكل الزهري المتفجر بالألوان البهية، هي دلالة على الفتنة المدلهمة التي أمت بالجزائر التي عشت في كل أزقتها رائحة الدم والكره، ولكن سلطان الأمل عاد وزرع في أرضها بذور الخير، فانقلبت الجزائر من العسر إلى اليسر، شأنها شأن "الزهرة" العطرة البهيجة التي تنبت في أرض عفنة.

ونفسر تلك الأشكال المؤنسة الراقصة المختلفة ألوانها التي تشدّ بعضها البعض في فضاء نصف دائري حائمة بالزهرة المتفتحة، هي البوح عن الفرحة والأريحية والغبطة، وهو تفسير عن حالة الكاتب النفسية المنتشية بإسدال ستار الانتكاسات والمأساة ورفع مشهد جديد عنوانه "زهرة".

سيمياء العنوان في رواية: "زهوة"

جاء في بعض تعريفات ابن منظور لمعنى "الزهو"، مايلي: قال الجوهري: وربما قالوا: زهت الريح الشجر تزهاه إذا هزته. والزهو: النبات الناضر والمنظر الحسن. يقال: زهي الشيء لعينك. والزهو: نور النبات وزهره وإشراقه يكون للعرضوالجواهر. وزها النبات يزهي زهوا وزهاه حسن. والزهو: البسر الملون، يقال: إذا ظهرت الحمرة والصفرة في النخل فقد ظهر فيه الزهو. والزهو والزهو: البسر إذا ظهرت فيه الحمرة، وقيل: إذا لون، واحدته زهوة.

ففي هذا الموضع من التعريف لمعنى: "الزهو"، يدل على الحسن واختلاف الألوان والطيبوالعدد الكثير، وهذا المعنى أقرب إلى مدلول العنوان لرواية: "زهوة" فهو يحيل على كل شيء حسن أريحي، يبعث السرور والبهجة في النفوس، وعنوان الرواية كما أشار الكاتب، مستوحى من "حفل راقص" يُقام في ولاية أدرار خلال اليوم السابع من الاحتفالات بذكرى المولد النبوي الشريف¹، هذا العنوان إذا رمزالسلام والوئام والبهجة.

إن هذه المقاربة لمفهوم العنوان يثمنها الكاتب في تصريح له، بأن المسودة الأولى "لزهوة" كتبت في أدرار وأنهيت كتابتها في ولاية سعيدة.²

إن ما يُستنتج من تصريح الكاتب، أن شيئا تغيّر في سعيدة، فبعدما فرّ منها خائفا وجلا مترقبا، عاد إليها آملا حالما مستبشرا، فهذا إعلان أن الأشباح والكوابيس التي طاردت المؤلف في شوارع سعيدة، قد زالت، وأن الظلام الطويل الذي سكن سعيدة قد انجلى وحلّ فجر جديد بدّد ظلمتها ووحشتها، فالعنوان أفصح عن فرحة "الحبيب السايح" لعودة الابن الضال إلى أحضان مدينة سعيدة.

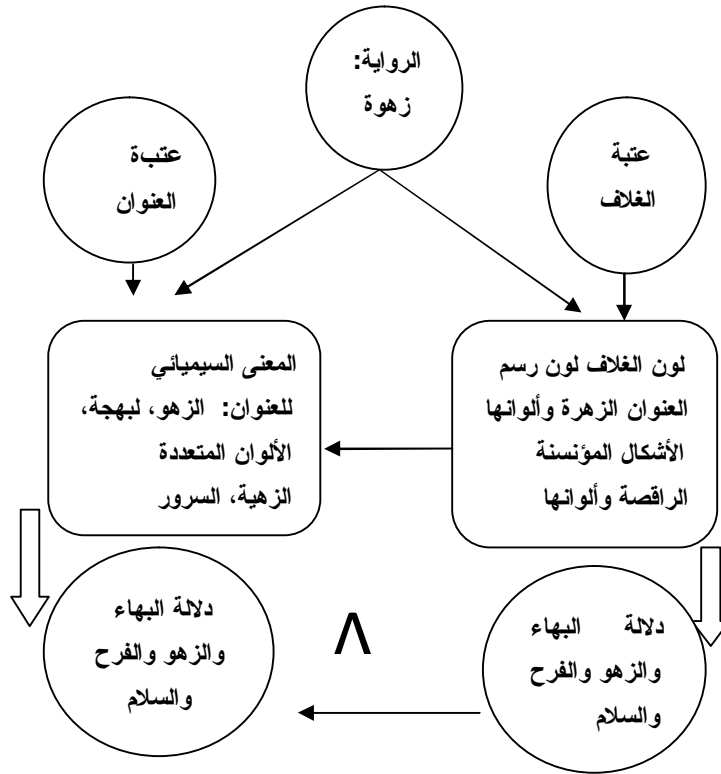
¹ مقتطف من تصريح للكاتب الحبيب السائح يوم الأحد من أفريل 2011، في المقهى الأدبي بمركز اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر العاصمة، الإذاعة الجزائرية، الأحد 10 أفريل 2011
http://www.radioalgerie.dz/ar/index.php?option=com_content&view=article&id=628
-05-20-09-26-38&Itemid=8817:-qq-&catid=60:201
² تصريح للكاتب الحبيب السائح، الأحد 10 أفريل 2011.

4.2 تشاكل العتبات النصية في رواية: "زهوة".

عند تشفير المرموزات غلاف الرواية وعنوانها، نهتدي إلى عديد من التشاكلات الحاصلة بين مدلول الغلاف والعنوان، فالرمز الغالب لغلاف الرواية، هو رمز الفرح والسلام، و ينبلج ذلك في اكتساح اللون الأبيض عموم حيّز الغلاف، وكلُّ قاص ودان يعرف ما يحمله اللون الأبيض من محمولاتٍ، نزولا إلى رسم العنوان ذي اللون البني الفاتح، ومرورابصورة الزهرة البهية الألوان التي تحف بها الأشكال المؤنسة الراقصة ذات الألوان المختلفة.

إن رمز غلاف الكتاب الذي جاء كله نفحات وسلوى، تشاكل والمدلول اللغوي لعنوان الرواية "زهوة" ذي المعنى البهي والزهي. ومن منظور سيميائي فإن سيمياء عتبة غلاف الرواية الدال على البهاء والسلام والفرح والزهو هو في وصلة¹ مع سيمياء عتبة العنوان الدال هو كذلك على الزهو والفرح والسلام. وسنلخص هذا التشاكل الحاصل بين عتبة الغلاف وعتبة العنوان في هذه الخطاطة التفسيرية:

¹رشيد بن مالك: " البنية السردية في النظرية السيميائية"، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2001، ص 12. يُرمز لحالة الوصلة بهذا الرمز: (∩).



الخاتمة

بعد المقاربة السيميائية لعتبة الغلاف والعنوان في روايتي "تماسخت دم النسيان" و"زهوة" للحبيب السائح - عينة - نستخلص ما يلي:

لا يمكننا أن نفهم طبيعة ودلالة العنوان، الذي يعدُّ من أهم العتبات النصية، بمعزل عن بقية العتبات الأخرى كاللون والصورة.

لقد خالصنا بعد مكاشفتنا السيميائية لعتبة الغلاف والعنوان في الروائيتين، أنه ثمة تشاكل دلالي وجودي بينهما.

إن التحليل السيميائي للعتبات النصية وسيلة مهمة وناجعة، لمعاينة مبطن وغموض عناصرها المتناثرة في غلافها ومنهج كفيل لفك شيفرتها وفصح مستورها وتقياتها.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع
السائح الحبيب: "تماسخت" (دم النسيان)، دار القصة للنشر، الجزائر، د.ط، 2002.
---: "زهوة"، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2011
المراجع
بلال عبد الرزاق، "مدخل إلى عتبات النص" (دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، إفريقيا الشرق (المغرب + بيروت)، د.ط، 2000.
بلعابد عبد الحق، "عتبات" (جبرار جينيت من النص إلى المناص)، تقديم: سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر + الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، ط1، 2008.
الحجمري عبد الفتاح، "عتبات النص" (البنية الدلالية)، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ط1، 1996.
صيطي عبيدة، بخوش نجيب، "الدلالة والمعنى في الصورة"، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2009.
عبد الله ثاني قدور، "سيمائية الصورة" (مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم)، تقديم: طاهر عبد المسلم، تيري لونسيان، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د.ط، 2005.
بن مالك رشيد: "البنية السردية في النظرية السيميائية"، دار الحكمة، الجزائر، د.ط، 2001.
مصطفى إبراهيم، حسن الزييات أحمد: "المعجم الوسيط"، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، ج1، ط2، 1972.
المجلات
حمداوي جميل: "السيميوطيقا والعنونة"، مجلة عالم الفكر، مجلد 25، ع3، 1997.
بن جمعة بوشوشة: "جماليات الخطاب السردية في رواية" تماسخت دم النسيان"، مجلة التبيين الجمعية الثقافية الجاحظية، مطبعة الجاحظية، ع26، 2006.

مواقع الأنترنت

http://www.radioalgerie.dz/ar/index.php?option=com_content&view=article&id=6287:-qq-&catid=60:201
المصدر وكالة الأنباء الجزائرية.
المراجع الأجنبية

1. Genette Gérard. <<Seuils>> ، ED ، seuil ، paris.